تفسير ابن كثير ج: 1 ص: 533
لآيات 488 91 يقول تعالى منكرا على المؤمنين في إختلافهم في المنافقين على قولين واختلف في سبب ذلك فقال الإمام أحمد 5184 حدثنا بهز حدثنا شعبة قال عدي بن ثابت أخبرني عبد الله بن يزيد عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين تقول نقتلهم وفرقة تقول لا هم المؤمنون فأنزل الله فما لكم في المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها طيبة وإنها تنفي الخبث كما ينفي النار خبث الفضة أخرجاه في الصحيحين خ 4589 م 2776 من حديث شعبة وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في وقعة أحد أن عبد الله بن أبي ابن سلول رجع يومئذ بثلث الجيش رجع بثلاث مئة وبقى النبي صلى الله عليه وسلم في سبع مئة وقال العوفي عن ابن عباس نزلت في قوم كانوا قد تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهارون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا إن لفينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس وإن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة قالت فئة من المؤمنين أركبوا إلى الجبناء فاقتلوهم فإنهم فإنهم يظاهارون
عليكم عدوكم وقالت فئة أخرى من المؤمنين سبحان الله أو كما قالوا أتقتلون قوما قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم نستحل دماءهم وأموالهم فكانوا كذلك فئتين والرسول عندهم لا ينهى واحدا من الفريقين عن شيء فنزلت فما لكم في المنافقين فئتين رواه ابن أبي حاتم وقد روي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم قريب من هذا وقال زيد بن أسلم عن ابن لسعد بن معاذ أنها نزلت في تقاول الأوس والخزرج في شأن عبد الله بن أبي حين استعذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر في قضية الإفك وهذا غريب وقيل غير ذلك وقوله تعالى والله أركسهم بما كسبوا أي ردهم وأوقعهم في الخطأ قال ابن عباس أركسهم أي أوقعهم وقال قتادة أهلكهم وقال السدي أضلهم وقوله بما كسبوا أي بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول وإتباعهم الباطل أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا أي لا طريق له إلى الهدى ولا مخلص له إليه

تفسير ابن كثير الآيات 63-64
الآيات 2463 63 قال الضحاك عن ابن عباس يقولون يامحمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاما لنبيه صلى الله عليه وسلم قال فقولوا يانبي الله يا رسول الله وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وقال قتادة أمر الله أن يهاب نبيه صلى الله عليه وسلم وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود وقال مقاتل في قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا يقول لا تسموه إذا دعوتموه يامحمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا يانبي الله يا رسول الله وقال مالك عن زيد بن أسلم في قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم الله أن يشرفوه
هذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا إلىآخر الآية وقوله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون إلى قوله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم الآية فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته والقول الثاني في ذلك أن المعنى في لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا أي لا تعتقدوا أن دعاءه على غيره كدعاء غيره فإن دعاءه مستجاب فاحذروا أن يدعو عليكم فتهلكوا حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصري وعطية العوفي والله أعلم وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال مقاتل ابن حيان هم المنافقون كان يثقل عليهم الحديث في يوم الجمعة ويعني بالحديث الخطبة فيلوذون ببعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى يخرجوا من المسجد وكان لا يصح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة بعدما يأخذ في الخطبة وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشار بإصبعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل لأن الرجل منهم كان إذا تكلم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب بطلت جمعته وقال السدي كانوا إذا كانوا معه في جماعة لاذ بعضهم ببعض حتى يتغيبوا عنه فلا يراهم وقال

قتادة في قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا يعني لواذا عن نبي الله وعن كتابه وقال سفيان قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال من الصف وقال مجاهد في الآية لواذا خلافا وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أي عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وماخالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان كما ثبت في الصحيحين خ 2697 م 1718 وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أي فليحذر وليخش من يخالف شريعة الرسول باطنا أوظاهرا أن تصيبهم فتنة أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك كما روى الإمام أحمد 2312 حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ماحولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويتقحمن فيها قال فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتقتحمون فيها أخرجاه م 2283 من حديث عبد الرزاق

الآيات 4/ 71-74

يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد وتكثير العدد بالنفير في سبيل الله ثبات أي جماعة بعد جماعة وفرقة وسرية بعد سرية والثبات جمع ثبة وقد تجمع الثبة على ثبين قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فانفروا ثبات أي عصبا يعني سرايا متفرقين أو انفروا جميعا يعني كلكم وكذا روى عن مجاهد وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وخصيف الجزري وقوله تعالى وإن منكم لمن ليبطئن قال مجاهد وغير واحد نزلت في المنافقين وقال مقاتل بن حيان ليبطئن أي ليتخلفن عن الجهاد ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه ويبطئ غيره عن الجهاد كما كان عبد الله بن أبي سلول قبحه الله يفعل يتأخر عن الجهاد ويثبط الناس عن الخروج فيه وهذا قول ابن جريج وابن جرير ولهذا قال تعالى إخبارا عن المنافق أنه يقول إذا تأخر عن الجهاد فإن أصابتكم مصيبة أي قتل وشهادة وغلب العدو لكم لما لله في ذلك من الحكمة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا أي إذا لم أحضر معهم وقعة القتال يعد ذلك من نعم الله عليه ولم يدر ما فاته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قتل ولئن أصابكم فضل من الله أي نصر وظفر وغنيمة ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة أي كأنه ليس من أهل دينكم يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما أي بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه وهو أكبر قصده وغاية مراده ثم قال تعالى فيلقاتل أي المؤمن النافر في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة أي يبيعون دينهم بعرض قليل من الدنيا وما ذلك إلا لكفرهم وعدم إيمانهم ثم قال تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما أي كل من قاتل في سبيل الله سواء قتل أو غلب فله عند الله مثوبة عظيمة وأجر جزيل كما ثبت في الصحيحين خ 3123 م 1876 وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة

الآيات 18/33-19

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم من شهود الحرب والقائلين لأخوانهم أي أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم هلم إلينا أي إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار وهم مع ذلك لا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم أي بخلاء بالمودة والشفقة عليكم وقال السدي أشحة عليكم أي في الغنائم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي من شدة خوفه وجزعه وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أي فإذا كان الأمن تكلموا كلاما

بليغا فصيحا عاليا وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة وهم يكذبون في ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما سلقوكم أي استقبلوكم وقال قتادة أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوؤه مقاسمة أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة على الخير أي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير فهم كما قال في أمثالهم الشاعر أفي السلم أعيار جفاء وغلظة وفي الحرب أمثال النساء العواتك أي في حالة المسالمة كأنهم الحمر والأعيار جمع عير وهو الحمار وفي الحرب كأنهم النساء الحيض ولهذا قال تعالى أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا أي سهلا هينا عنده

الآيات 3/154-155

ثم قال تعالى إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا أي ببعض ذنوبهم السالفة كما قال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها ثم قال تعالى ولقد عفا الله عنهم أي عما كان منهم من الفرار إن الله غفور حليم أي يغفر الذنب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم وقد تقدم حديث ابن عمر في شأن عثمان وتوليه يوم أحد وأن الله قد عفا عنه مع من عفا عنهم عند قوله ولقد عفا عنكم ومناسب ذكره هاهنا قال الإمام أحمد 168 حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة عن عاصم عن شقيق قال لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان فقال له عبد الرحمن أبلغه أني لم أفر يوم حنين قال عاصم يقول يوم أحد ولم أتخلف عن بدر ولم أترك سنة عمر قال فانطلق فأخبر بذلك عثمان قال فقال عثمان أما قوله إني لم أفر يوم حنين فكيف يعيرني بذلك ولقد عفا الله عنه فقال تعالى إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وأما قوله إني تخلفت يوم بدر فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت وقد ضرب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم فقد شهد وأما قوله إني تركت سنة عمر فإني لا أطيقها ولا هو فأته فحدثه بذلك

الحديد الآية 25

كما قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالسا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها وسألته عنها فقال سبحان الله ومن يشك في هذا كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة وقال قتادة ما أصاب من مصيبة في الأرض قال هي السنون يعني الجدب ولا في أنفسكم يقول الأوجاع والأمراض وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولانكبة قدم ولاخلجان عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وهذه الآيةالعظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبحهم الله قال الإمام أحمد 2169 حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة وابن لهيعة قالا أخبرنا أبو هانئ الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ورواه مسلم 2653 من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد ثلاثتهم عن أبي هانئ به وزاد ابن وهب وكان عرشه على الماء ورواه الترمذي 2156 وقال حسن صحيح وقوله تعالى إن ذلك على الله يسير أي أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وقوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها وتقديرها للكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطئكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان ولا تفرحوا بما آتاكم أي جاءكم وتفسير آتاكم أي أعطاكم وكلاهما متلازم أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشرا وبطرا تفتخرون بها على الناس ولهذا قال تعالى والله لا يحب كل مختال فخور أي مختال في نفسه متكبر فخور أي على غيره وقال عكرمة ليس أحد

إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا ثم قال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل أي يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه ومن يتول أي عن أمر الله وطاعته فإن الله هو الغني الحميد كما قال موسى عليه السلام إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد